وكانت لغة ابراهيم هي اللغة الواحدة (الأم) لسكان شبه الجزيرة العربية، قبل ان تتفرق الى لهجات (الكنعانية والآرامية والعبرية). والارجح ان حفيده يعقوب (١٨٠٠ ق.م.) كان يتكلم بها. وقد انتهى هذا العصر (عصر ابراهيم) بهجرة يعقوب وأبنائه الى مصر[٨].

وتذهب التوراة في سرد حكاية «عهد الله لابراهيم» باعطائه «أرض كنعان» وحفظ نسله. ودليلاً على هذا العهد، وعلامة له، طلب الرب ـ حسب التوراة ـ ان يختتن ابراهيم هو ونسله، وان من لا يفعل، فهو منقطع عن «شعبه». «ولمّا كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة، ظهر الرب لأبرام وقال له أنا الله القدير، سرّ أمامي وكن كاملاً، فاجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً. فسقط أبرام على وجهه. وتكلم الله معه قائلاً: أمّا أنا، فهوذا عهدي معك وتكون أباً لجمهور من الأمم؛ فلا يدعى اسمك، بعد، أبرام بل يكون اسمك ابراهيم، لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم؛ وأثمرك كثيراً جداً، وأجعلك أمماً، وملوك منك يخرجون؛ وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك؛ وأعطي لك، ولنسلك من بعدك، أرض غربتك، كل أرض كنعان، ملكاً أبدياً وأكون إلههم.

«وقال الله لابراهيم، وأمّا أنت، فتحفظ عهدي؛ أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم؛ هو ذا عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. يختن منكم كل ذكر، فتختنون في لحم غرلتكم. فيكون علامة عهد بين وبينك؛ ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم. وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك. يختن ختاناً وليد بيتك والمبتاع بفضتك ، فسيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً. وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته، فتقطع تلك النفس من شعبها. إنّه قد نكث عهدي» (سفر التكوين ١٧: ١ ـ ١٥).

ولنا بعض ملاحظات نوردها على هذا النص:

١ ـ ان الأرض المعطاة لابراهيم هنا هي «أرض كنعان»، له ولنسله.

٢ ـ ان الأرض لا «تعطى» لصاحبها، والاّ فما مبرر هذه العطاء. فبمجرد انها أُعطيت، فهذا يشكّل اثباتاً انها ليست له أصلاً.

٣ ـ لم يؤدّ ابراهيم شروط هذا العهد الذي يشمل اختيار الأرض، والنسل. فقد تخلّى عن الارض مرة عندما ذهب الى مصر؛ كما انه تخلّى عن امرأته ساراي (ساره، فيما بعد) لفرعون، وبذلك تخلّى ـ بمعنى آخر ـ عن نسله، حينما طلب منها ان تقول انها أخته لدى رؤية جنود فرعون لهما (التكوين ١٢)[٩].

٤ ـ يشتمّ من النصّ بدايات التمييز العنصري: «ابن غريب».

٥ ـ الختان دليل عهد الرب مع ابراهيم ونسله كله. ومن يختتن يَنَلْ هذا العهد، لا سيما انْ كان سبّاقاً في نيل هذه العلامة. فلماذا لم يُعط اسماعيل الارض وأعطيها اسحق وهو (أي اسماعيل) أكبر منه بأربع عشرة سنة[١٠]: «وكان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته. وكان اسماعيل، ابنه، ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته. في ذلك اليوم عينه، ختن ابراهيم واسماعيل ابنه» (التكوين ١٧: ٢٤ ـ ٢٦).

وقبل ان نغادر عصر ابراهيم نود تأكيد بعض النقاط:

١ ـ ان ابراهيم انسان متميّز عند الرب، ممّا أهّله ان يكون صاحب العهد عنده. هذا العهد